١٧ متراً في مضيق قلابشه يُخزن فيهِ كميَّة من المياه تبلغ ١٥٠٠٠ مليون متر مكعَّب. واذا تمَّ كلُّ ذلك صار السودان تحت حكم مصر واضطرَّ اهلهُ ان يرسلوا كلَّ محصولاتهم على طريق مصر

فهذا هو المشروع الاخير الذي كان أساساً لما نجز اليوم بالفعل سبق الى وضعهِ مهندس فرنسوي فاتتهُ من بعده المهندسون الانكليز

(التتمَّة لعددٍ قادم)

السَّمَنْدَل

للكاتب المتفنن البارع الاب انستاس الكرملي

في اللغة العربيَّة ألفاظ كثيرة لا يُعرَف اليوم معناها الحقيقي وذلك امَّا لقصور التعريف الذي ورد بخصوصها. وامَّا لابهامهِ وغموضهِ وامَّا لقولهم « معروف » وهو اليوم عندنا « مجهول » او نحو ذلك من أساليب الكلام الذي لا يُغني عنهُ فتيلًا ولا يُروي غليلًا مع اننا اصبحنا في زمانٍ نحن في حاجة ماسَّةٍ الى معرفتها لان اغلبها من المواليد الثلاثة التي لجهلنا ما وصفهُ السَّلَف من تلك الحروف نتَّخذ بدلًا منها الفاظاً اعجميَّة نحن في غنًى عنها. وزد على ما تقدَّم أنَّنا اذا توفَّقنا الى كشف غوامضها نستفيد منها فوائد جمة: منها اننا نفهم فهماً جليًّا معنى تلك الالفاظ عندما يذكرها العرب في مؤلفاتهم. ومنها أنَّنا نتمكَّن من استعمالها في مواطنها ومساقطها من كتاباتنا كُلَّما احتجنا اليها. ومنها تخليص هذه اللغة الشريفة من الابهام الذي يُتعب الافهام ويدفع النفس الى السآم

وقد بذلتُ ما في الوُسع لازاحة القناع عن مثل هذه الالفاظ فوقفت والحمد لله على كثير من حقائق معانيها ودقائق مدلولاتها ومبانيها امَّا بمعرفة الاعجميّ الذي أُخذتْ عنهُ وإمَّا من إعمال الفكرة فيها وامَّا اني اهتديتُ الى ضالَّتي نَبَهاً حتى انهُ لم يَبقَ للشبهة فيها سبيل. ومن هذا القبيل كلمة « سمَندل »

قال الدميريّ: « السَّمَندل » بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام

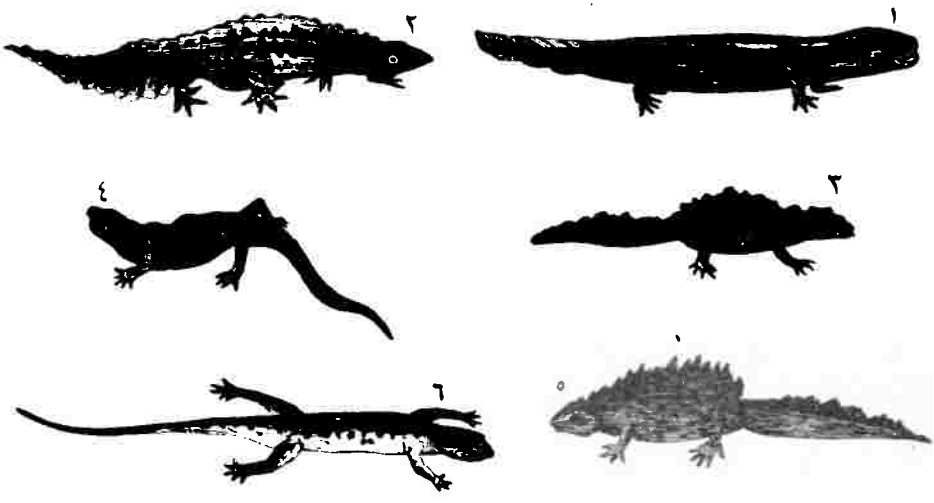

١ السمندل الاميركيّ ٢ السمندل المبقَّع ٣ السمندل الرُّخامي
٤ السمندل البرّي ٥ السمندل ذو العرف ٦ سمندل المقابر

في آخرِ وسمَّاهُ الجوهري: « السَّنْدَل » بغير ميم. وابن خلكان: « السَّمَنْد » بغير لام وهو طائر يأكل البنش. . . ومن عجيب امر السَّمَنْدل استلذاذهُ بالنار ومكثهُ فيها واذا اتَّسخ جلدهُ لا يُغسل الّا بالنَّار. وكثيرًا ما يوجد في الهند وهي دابَّة (كذا بعد ان قال انهُ طائر) دون الثعلب خلنجيَّة اللون حمراء العين ذات ذَنَب طويل يُنسج من وَبَرها مناديل اذا اتَّسخت أُلقيت في النار فتنصلح ولا تحترق. وزعم آخرون: ان السَّمَنْدل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرّخ في النار وهو بالخاصيّة لا توثر فيهِ النار ويُعمل من ريشهِ مناديل تُحمل الى بلاد الشام فاذا اتَّسخ بعضها طُرح في النار فتأكل النَّار وسخهُ الذي عليهِ ولا يحترق المنديل. قال ابن خلكان: « ولقد رأيت منهُ قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابَّة في طولهِ وعرضهِ فجعلوها في النار فما عملت فيها شيئاً فغمسوا احد جوانبها في الزيت ثمَّ تركوهُ على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زمانًا طويلًا مشتعلًا ثمَّ أطفأوهُ فاذا هو على حالهِ ما تغيَّر منهُ شيء. قال: ورأيت بخطّ شيخنا العلاَّمة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي انهُ قال: قُدّم للملك الظاهر ابن الملك

الناصر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغسلونها في الزيت ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضاء كما كانت ». ذكرهُ في ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقي مع زيادة اخرى . . . وقال القزويني : « السَّمَنْدل » نوع من الفأر يدخل النار وذكر ما تقدَّم والمعروف انهُ طائر كما حكاهُ البكري في كتاب المسالك والممالك وغيرهُ ايضاً ». انتهى بحرفهِ

وقال في مادَّة السَّمَنْدر والسَّمَنْدر : « دابَّة معروفة عند اهل الهند والصين . قالهُ ابن سيده ». قلتُ : ولم يزد المؤلف على هذا القَدْر

وقال في التاج : « السمندل طائر بالهند لا يحترق بالنَّار ويُقال فيهِ ايضاً « السَّبَنْدل » بالباء عن كراع . ويُقال انهُ اذا هرم وانقطع نَسْلُهُ ألقى نفسهُ في الجَمْر فيعود الى شبابهِ » اه . وقال في « سَمَنْدر » : السَّمَنْدر كقَلَنْدَر و « السَّمَنْدَر » كسَمَنْدَل دابة كالسَّمَنْدل وعلى الثاني اقتصروا كاقتصار الصاغاني على الاوَّل . وقال : هي غير السَّمَنْدَل اه . وقال في « السَّنْدَل » : طائر يأكل البيش عن الحائط . كما في اللسان

وقال في البرهان القاطع ما معرَّبهُ : « السَّمَنْدر كقَلَنْدر حيوان يتكوَّن في النار وهو بقدر الفارة . قيل : اذا خرج من النار يموت . وقد يخرج منها في بعض البلاد ليجول خارجاً عنها فيصطادهُ الناس ويتَّخذون من جلدهِ مناديل وقَلانِس واذا اتَّسخت يلقونها في النار فتنظف كانها غُسلت بالصابون . وعلى روايةٍ : أنهُ بشكل سامّ ابرص . ومن جلدهِ تتَّخذ عالاتٌ ومن وَبرهِ تُنسج ثياب . وهذه تُلبس غالباً في الأيام الحارَّة والحرارة والهواء لا يؤثران فيها ابدًا . ويزعم البعض ان السَّمَنْدَر طائر وهو السمندل ايضاً » . اه

وقال في مادة « سمندل » السَّمَنْدَلُ والسَّمَنْدُورُ والسَّمَنْدُوكُ والسَّمَنْدُولُ والسَّمَنْدُونُ كلها بمعنى سَمَندل . وأصل لفظة سَمَنْدُون : « سام اندرون » فنُحتَت ومُحصِّلها : « في النار او بداخل النار » لان معنى « سام » « النار » ومعنى « اندرون » « في » او « بداخل » اه

وقال في « سامَنْدر » : سامَندَر على وزن آهَنكر : هو السامَندل . وهو حيوان بقدر الفارة يتكون في النار ويُتَّخذ من جلدهِ قلانس وأكِنَّة وثياب . واذا اتَّسخت تُلقى في النار فتخرج كانها قد غسلت بالصابون . وعلى روايةٍ اخرى : انهُ طائر . اه

وقال في « سَالاَمَنْدَرَا » بفتح الميم : نوع من الوَزَغ لهُ اربع أرْجل قصير الذنب رقيق العنق ملوَّن بالسواد والصُفْرة لا يفعل فيهِ الحجَرُ ولا النارُ ابدًا . وهو سمٌّ قاتل يُقال لهُ بالتركية « ييلانه اغوريون » اي المعطي السمَّ للحيَّة . وهو يوجد غالبًا في معادن النُشادر ويقال لهُ الخِرْذَوْن ايضًا . واذا رُبط قلبهُ على الكتف افاد للحُمَّى الربع . اه

فهل سمعت هذه التعاريف الغريبة المتضاربة من « حيوان وطائر ومعْدن » وهل حفظتَ اللُغات المصحفة التي وردت فيها وقد بلغت احدى عشرة لغة او فهمت ما المراد بهذا السَمَندل وما هو الاصل المعرَّب عنهُ وإلى كم معنىً نُقل هذا الحرف ؟ — قلتُ : الاصل في كل ذلك ان الكلمة يونانية معرَّبة عن « سالاَماندَرا » (σαλάμανδρα) وهو اسم دويبة مشهورة عند الاقدمين وقد رَوَوْا عنها نفس الخرافات التي ذكرناها بل وزادوا فيها . واسمها بالعربية السَّرَفُوت والسَرَفُون والمشهورة من هاتين اللغتين ما كان آخرها تاء . قال الدميري : السَّرَفُوت : بفتح السين والرآء المهملتين وضم الفاء : دويبة تُعشش في كور الزجاج في حال اضطرامهِ وتبيض فيهِ وتفرّخ ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرَّة الدائمة . كذا قالهُ ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر (وفي مادة سمندل يقول : بن جابر) المنجنيقيّ . (قلتُ : ولم اجد هذه الترجمة في كتاب ابن خلكان الذي بيدي) وهذه الدويبة تشارك السَمَندل في هذا الوصف . انتهى

امَّا الحقيقة فهي انَّ هذه الدويبة هي من جنس الضفادع المرئيات الذنب (batraciens urodèles) وتشتمل على دويبات منظرها الخارجي منظر سَوَام ابرص فان جسمها مستطيل وذنبها طويل غير محدَّد الطرف ولها اربع ارجل جانبيَّة متساوية في طولها غير ملتحمة في الغالب وفي كل رِجْلٍ ٤ أو ٥ اصابع خالية من الاظفار . وراسها مُفَلطَح ولها عدَّة أسنان صغيرة ومن هذه الدويبات : بَرِّيَّة وهي السَمادر الحقيقيَّة ومنها مائيَّة . والبرِّيَّة هي التي اشتهرت بهذه الخرافات . واما ما فيها من الصدق فهو ان اجسام هذه الدويبات تفرز مادة لزجة تضرب الى البياض ولتدفقها فيها تُمكِّن الدويبة من ان تعيش هُنَيهة من الزمان وهي في النار الى ان تنفذ تلك المادَّة فتموت كسائر الحيوانات . وهذه المادة كريهة الرائحة حادَّتها وهي سامَّة لكنَّ سمها خفيف الفعل لا يقتل غير الحشرات . وهذه الدويبات نافعة لانها تَلْتَهم الخراطين

والهوامّ . وهي تكاد تكون صمّاء عمياء وتأوي الى المواطن المظلمة النَدِيَّة

ولعلّك تسألني وكيف إذن شاع عن هذه الدويبة انها طائر وان هذا الطائر يعيش في النار وانهُ قد وجد من ريشهِ او من شعرهِ (على راي من يعدّ هذه الدويبة حيوانًا) ما اتُّخذ منهُ مناديل وثياب ومناطق الخ الخ

ان مثل هذا الوهم كثير عند قدماء الكتبة وهم معذورون في ذلك لقلّة اطلاعهم على مثل هذه الامور في كل حيوان او طائر ليس من بلادهم . فلا عجب بعد ذلك اذا ذهب العوامّ الى ما ذهب اليهِ الخواصّ

وممّا دفعهم الى هذا الوهم انهم حفظوا ممّا سمعوهُ عن هذه الدويبة انها « تعيش في النار اذا أُلقِيَت فيها » وما سمعوا بهذا الامر الغريب في حدّ نفسهِ الّا وزادوهُ غرائب على عجائب فقالوا انهُ يعيش فيها ويعشّش ويفرّخ الخ ناسبين اليها كل ما سمعوا من الاخبار التي يُروى فيها عن عدم تاثير النار في الشيء المرميّ فيها او عن تحسُّنهِ فيها بدلًا من فنائهِ وزوالهِ . واشهر ما كان يُعرف يومئذٍ من هذا القبيل : ١ً طائرٌ اسمُهُ القوقيس او الفَقَنَّس (راجع المشرق ٢ : ٩٢٦) ولهذا ظنّ البعض انهُ طائر . ٢ً دويبةٌ وهي هذه التي ذكرناها . والذين قالوا بذلك هم الذين اعتمدوا على الاصول التي نقلوا عنها هذه اللفظة وقد مرّ الكلام عن حقيقة امرها . ٣ً مادةٌ معدنيةٌ عرفها السلف منذ قديم الزمان كما قد عرفها ايضًا الاعاجم من يونان ورومان غير انهم وهموا في جعلها ريشَ طائر او شعرَ حَيَوانٍ وسبب وهمهم هو مشابهة هذه المادّة للريش او الشعر حتى ان قدماء الاعاجم كانوا يسمّونهُ « الكتّان الذي لا يحترق » والحقيقة انها مادة معدنية تسمّى بالفرنسية amiante وكان تُتّخذ منها المنسوجات بانواعها وكانت كلّما اتسخت يلقونها في النار فتنظف . ومثل هذه المادّة مادّة اخرى تُعرف بالعربية « بحجر الفتيلة » وبالفرنسية asbeste . وقد ذكر هذا الحجر ياقوت في كتابهِ « معجم البلدان » في مادة « بَدَخشان » قال ما حَرْفهُ : وحجر الفتيلة شيءٌ يُشبهُ البرديَ والعامّة تظنهُ ريش طائر يُقال لهُ « الطلق » (١ (ويروى : المطلّق) لا تحرقهُ النار يوضع في

---

١) الذي جاء في كُتُب اللغة عن الطَلْق : . . . . هو نبتٌ تستخرج عُصارتُهُ فيَتَطَلّى بهِ الذين يدخلون النار او هذا وهمٌ اي ما نقلهُ ابن عباد والاصمعي وقال في ابن عباد لم يعمل

الدُهن ثم يشتعل بالنار فيتَّقد كما تتَّقد الفتيلة فاذا اشتمل الدُهن بقي على ما كان لم يتغير شيءٌ من صفته وكذلك ابدًا كلما وضع في الدُهن واشتعل واذا أُلقي في النار المتأججة لا تحرقهُ ويُنسج منهُ مناديل غلاظ للخوان فاذا اتَّسخت وأُريد غسلها أُلقيت في النار فيحترق ما عليها من الدهن والدَرَن وتخلص وتطلع نقية كأن لم يكن بها دَرَن قطّ . اه

والظاهر ان كلمة « سمَندل » وان كانت في الاصل اسم هذه الدويبة المذكورة إلا ان العرب خصَّصوا هذه اللغة او هذا التصحيف بهذا الحجر أي amiante وخصُّوا اللفظة الاصلية اي « سمَندر او سمَيْدر » بالدويبة المعروفة « بالسَّا لاَمَنْدرَا » وهذا ما يؤخذ من سياق النصوص التي أَوردناها ممَّا لا يُبقي شبهة في هذا الاستعمال . وكثيرًا ما يُعرِّب العَرب اللفظة الواحدة الاعجميَّة بلغاتٍ او روايات مختلفةٍ ويخصُّون كل لغة بمعنىً يتميز عن معنى اللغة الأُخرى تمَيُّزًا بيّنًا . والشواهد على ذلك كثيرة ولا بُدَّ من ذِكْرِ وَاحِدٍ اثباتًا لكلامنا

فمن ذلك كلمة βύσσος فان معناها الاصليّ : نوع من الكتَّان الرقيق او ضرب من القطن يُستخرَج من نوعٍ من الصدف البحري اسمُهُ : الفِنَّةُ البَحْرِيَّة (١ وقد اطلق اليونان والرومان هذه اللفظة على كل شعر يشابه الوبر او الخيوط النباتية بل وقد توسعوا بمعناها فاطلقوها على القطن . قلنا : فقد جاءت هذه اللفظة في تراجم التوراة المختلفة بصورة « بُوص » وفسَّرها صاحب محيط المحيط بالدمقس ورافقهُ صاحب أقرب الموارد إلا اني لم اظفر بهذا المعنى في غير هذَيْن المعجمين من الدواوين اللغوية التي وصلت اليها يدي . والذي وجدتهُ في كتب اللغة ان البُوص : بالضمّ : ثمر نباتٍ . والله اعلم بالمعنى الصحيح

شيئًا وهو ليس بنبت إنما هو جنس من الاحجار واللحاف ولعلَّهُ سمع ان الطلق يُسمَّى كوكب الارض فتوهم انهُ نبت ولو كان نبتًا لاحرقتهُ النار وهي لا تحرقهُ إلا بجبَلٍ وهو معرَّب تلك . اه . فانظر حرسك الله الى ما حلَّ بهذا السمندل فقد انتقل الى جميع أطوار المواليد من معدن (على الراي الصحيح) ونباتٍ (على راي بعض اللغويين) وطائرٍ (على راي العوام) وحيوان (على راي جماعةٍ من العلماء) فصحح كل ذلك

١) وبهذا المعنى ورد التِّيل (بتَاء مثناة) بمعنى البُوص . قال في التاج في مستدرك مادة ت و ل : التِيل . شيءٌ شبه الكتَّان يخرج من البحر تُنسج منهُ الثياب . اه

وقد عرَّبتْ ايضاً هذه اللفظة بصوت « بزّ » فجاءت بمعنى الثياب مطلقاً او متاع البيت من الثياب

وقد نُقلت الى وجهٍ ثالث وهو « البِزْيَون » قال في التاج : البزْيَون كجِرْدَحل ووقع في اصلاح المنطق بفتح الباء وفي الصحاح مثل عُصْفور (ومثلهُ في اصلاح الكاتب) : السندس . وقال ابن بري : هو رقيق الديباج . وقال غيرهُ : بساطٌ رومي » . اه فتمَّا تقدم ترى انهم قد يعرّبون الكلمة الواحدة باوجهٍ مختلفة ويُخصّصون كل لغة بمعنىً قائم بذاتهِ . فتدبَّر

الكنيسة والعلوم الفلكيَّة

نظرُ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لا نتمالك من الدهش بل من الضحك عندما نطَّلع على بعض الجرائد او المجلاَّت المصريَّة فتراها تخوض في مواضيع شتَّى لا تدري منها سوى قشرتها وربَّما استندت في ذلك الى اقوال بعض الصحفيين الاوربيين من ذوي الجهل او اصحاب الاغراض العمياء ممَّن غشَّى على ابصارهم البغض للكنيسة وتلاعبت بهم الاهواء تلاعب الريح بالعصافة . ولو اردنا ان نتتبَّع هذه الاقاويل الكاذبة لحُتم علينا ان نكتب المؤلفات الضخمة تزييفاً لها وتقويضاً لحججها الواهنة . وانَّما نكتفي اليوم بالردّ على جملة واحدة قرأناها في بعض هذه المجلات نقلتها احدى الصُّحُف المحليَّة وهي قولها « انَّ الكنيسة تسلَّطت في العالم المسيحيّ اثني عشر قرناً في اوربَّا ولم تمنحنا فلكيًّا واحدًا » ففي هذه الجملة من التحامل على الكنيسة الكاثوليكيَّة ما لا يسعنا السكوت عنهُ فاسرعنا الى كَتْب هذه العجالة ليرى القرّاء ما في هذا القول من الصدق

*

وقبل الردّ على هذه العبارة المجحفة بحقّ الكنيسة لا بُدَّ من تقديم بعض المقدَّمات تمهد الطريق لفهم ما يأتي فنقول :